

أجرى الحوار الدكتور كمال ديب:

انه لا يذهب ولا يندثر. كلما قالوا في بيروت أن العماد ميشال عون انتهى ولن نسمع عنه بعد اليوم، يفاجأهم بمقابلات صحفية وتصريحات ولقاءات وجولات. ذلك أنه صاحب فكرة مبدئية أنيقة لها مريدون ومناصرون في لبنان والمغربيات، فكرته البسيطة تقضي بالمطالبة المتواصلة التي لا تعرف كلالاً أو تراجعاً هي العمل «من أجل لبنان سيد ومستقل وديمقراطي». فتجد شباباً في لبنان هم في «التيار الوطني الحر» - وأحياناً لقبهم «عونيون» أو جماعة عون تحبباً بشخص العماد وليؤكداً لا حزيتهم - يوزعون المنشائر ويسيرون في التظاهرات. ولا يمكنك إلا أن تحترم هؤلاء الطلاب عندما يتعرضون لرش الماء من سيارة الإطفاء أو للضرب أحياناً. فمن يقبل بهذه المجازفة بدون مقابل وهو تلميذ في مقتبل الحياة يأخذ خرجته من أهله، لا شك أن مشاعره عظيمة جداً من أجل وطنه. وأنا لا أستطيع أن أقول أن «عون ضلهم» أو أنه «سحرم». فكلهم متعلمون وطلاب جامعات وراشدون ويقراون الصحف ويتابعون الأحداث ويحبون لبنان ولن يتبعوا شخصاً ما بشكل أعمى. لقد كنت تلميذاً مثلاً في بيروت وكانت الدنيا لا تسعني في طموحي ورجائي. وكنت أرى الكبار وحوشاً لا تخدم المواطن ولم أكن أعبد الأشخاص. كنت أحب كمال جنبلاط مثلاً لمبادئه وإخلاصه لقضية التطور الاجتماعي الديمقراطي في لبنان. ولذلك أفهم على هؤلاء الطلاب وأؤمن بضرورة محاورتهم ديمقراطياً.

ميشال عون إذن لا يتكلم في الفراغ بدون قاعدة شعبية فله وزن انتخابي وسياسي متى ساحت الفرصة لعودته إلى مسقط رأسه. وأقول لمن لا يعرفه: لا تقولوا أبداً أن العماد عون مسرور في منغاف القسري بل هو يشعر بغريته كل يوم ويحس بلده لبنان مثل أي شخص عادي.

الثاني. قلت له أنني لا أرغب كثيراً في الحديث السياسي وأريد أن لا ينظر الناس إلى ميشال عون كزعيم وكعسكري بل كشخص يحمل فكراً ومبادئ. وجدت مثلاً أنه لم يتخل عن مبادئه. وجدت أن أفكاره متسلسلة متى كان الحديث هادئاً وعاقلاً لا كما نرى أحياناً في استفزازات المناقشات التلفزيونية. كان أكبر سناً، فهو ليس الشاب الذي خاطب عشرات الألوف في بعيداً عام ١٩٨٩ وليس الرجل صاحب نظرة العنقوان في منغاف الفرنسي. وما زال على مبدئه، يخسر وينقلب عليه المريدون ولكنه جريء الفكرة والإرادة. وعلى سبيل المثال هناك من يحب عون لأنه زعيم مسيحي رسموا له صورة حائط يركب الحصان الأبيض ويطعن التينين برمحه مثل مار جرجس، ولكن ميشال عون علماني ويحب المسلمين ويريد أن ينام في مجلس شوري حزب الله في ضاحية بيروت ليقتنع المسيحي أن لا خوف عليه من مسلمي لبنان. كنت أحسب أننا سمعنا ما سمعناه من ميشال عون خلال هذه السنوات، ولكن الحديث تواصل وهناك أمور فكرية لم نعطها حقها مثل معنى إيمانه المسيحي ونظرة الوجدانية إلى الدنيا وثقافته الشخصية.

في جناحه في فندق وستن في أوتاوا، كان برفقة مساعديه وجلهم من الشباب الجامعي. فجلسنا نتحدث وبعد دقائق قلت له: شو ما بتضيفوا قهوة! فخرج أحد مساعديه وأحضر عشر «كبابات» قهوة من «ستار باكس». وهذا هو الحوار:



في هذه الحال اذا قيل لي اما أن أتبع شروطهم أو أنني خارج على الكنيسة فأنا أطلع من الكنيسة. يجب منح الانسان اختياراً حراً. أنا خلقت مسيحياً وفي بيت مسيحي. ولكني بعد ذلك أمارس اختياري كمواطن حر.

على أي حال أتمنى أن تلتقي يوماً ما بكاهن في مرتبة رفيعة وعلم عميق في اللاهوت وتناقشه في الزواج المدني فأما أن تلقه أو هو يقنعك لأن هذا الموضوع مهم وشائك بالنسبة إلى لبنان. وعلى فكرة، كثيرون من مناصريك في التيار الوطني الحر ينظرون إليك بأنك زعيم مسيحي... فما رأيك؟ عون: أنا أطلب منهم أن يكونوا فعلاً مسيحيين لأن المسيحية ليست تعصبا ضد المسلم. من أهم النقاط التي أعطها المسيح هي محبة الآخر تحت مطلق الظروف والأشهاد للتحقق حتى

المواطن اللبناني المسلم لا يمكنه أن يخرج عن هاتين النقطتين. وكذلك لا يجب المبالغة حول موضوع الزواج. فالزواج الكنسي ابتداءً فعلاً في القرن السابع على أيام شرلمان، وحتى هناك دول مسيحية لم تطبق الزواج الكنسي الا في القرن الرابع عشر. فمماذا فعل المسيحيون في القرون السابقة سوى عقود حسب بيئتهم وظروفهم؟ الزواج المسيحي في بساطته هو عقد كنسي وعقد تراض بين المتزوجين. في مجتمعات العالم الشهود هم الذين يدعونك إلى العرس، خاصة الأهل، السيد فلان وزوجته يدعونك إلى زواج ابنهم أو ابنتهم. وهذه عادات قديمة جداً مستمرة إلى اليوم. فلا يمكن أن تخبرني أن أكون مسيحياً أو لا أكون وفقاً لسر الزواج الكنسي. ولكني أقبل القول ان الزواج في الكنيسة يعطي نوعاً من الهالة لمناسبة عظيمة جداً في حياة الانسان. يعطيه هالة حلوة وقدسية. ولكن هذه الهالة ليست بقيمة تجعلني أنفي مسيحية الشخص الذي لا يمارسها.

ربما لا يعود هذا الأمر ذات أهمية لو كان في لبنان دولة مؤسسات تحضن المواطن وتدفعه إلى القبيلة الطائفية والتعصب.

نعم يجب الانتقال من دولة الطائفية إلى دولة المؤسسات التي يمكن أن نسميها الدولة العلمانية للجميع مع ترك المجال للجميع أيضاً ممارسة الشعائر الدينية التي يؤمنون بها. أنا أريد دولة حقوق المواطن وليس حقوق الطائفة.

كثير الكلام في بداية الحرب الأهلية في لبنان أن «المسيحيين خانفين» وكانت هذه الفكرة مصدراً للتندر بعدما كان الحكم والاقتصاد والعسكر بأيدي مسيحية. ولكننا نرى اليوم هجرة مسيحية واسعة وثقافة سكانية مسيحية مرتفعة في المناطق الممتدة من مرفأ بيروت وحتى آخر كسروان. ما يعيدنا

وعندما يتذكر أصدقاءه ومعاونيه وأحابيه وأهله في لبنان يشد على نفسه ويعمل جهده لكي لا يتماس في الذاكرة المؤلمة. أراد أن يتذكر مثلاً كيف أن كل مساعديه وأعوانه في الجيش كانوا مسلمين وبدأ يعدد أسماءهم ولكنه توقف مذوبحاً من الألم على فراقهم.

وهناك آخرون يقولون «أن لبنان حالياً هو فعلاً حر ومستقل وديمقراطي وأن عون يثير أمراً كان مفعولاً لأنه خسر السلطة عام ١٩٩٠». وأنه «يلتقي بأميركيين متعاطفين مع إسرائيل» وأنه وأنه...

ولكن اليس مقياس الديمقراطية هي أن نسمح «حتى» لميشال عون بالكلام وان كان لا يعجب الكثيرين؟ ألا يوجد في البرلمان الكندي حزب الكتلة الكيبكية الذي يسعى إلى إقامة دولة منفصلة عن كندا في كيبيك ومع ذلك فسعيها شرعي وديمقراطي؟ اليس من الأفضل أن يناضل ميشال عون من أجل أفكاره من مكتبه في بيروت بدل المنفى؟

ومع ذلك يقول آخرون أن عون «حافظ حطاطه على سورية» وأن ما يسمى «بالشارع المسيحي» ما زال تحت مظلة البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير وما زالت «للقوات اللبنانية» شعبية كبيرة ولقائدها سمير جعجع سحراً. وأن ثمة «صفحة» من مجموعة تحركات تتركب في مكانها في لبنان وبين لبنان وسوريا لتقارب مسيحي - سوري يبدأ خلال شهرين باطلاق سراح جعجع وتأييد حكومة جديدة وتوسيع حلقة الحوار المسيحي - السوري.

عون غير معني بهذه التكتيكات فهو كما قال لي لا يشتغل بالسياسة وخاصة السياسة المحلية. وهو «زعيم وطني لبناني فحسب» وليس «زعيماً مسيحياً» أو للمسيحيين كما يريد البعض. أو كمن يلتحق بتياره على هذا الأساس. لقد التقيت العماد عون سابقاً في باريس وهماو لقائني

ويهاجم الموضوع ويخرج المطران ويفعل نفس الشيء. يعني أن المتضررين مادياً من المشروع تكلموا ضده.

ولكن ماذا عن المستفيدين من النظام العلماني وهم الأكثرية من الشعب حسب قولك؟

المستفيدون من المشروع - الشباب والمتقنون والراغبون في تطور البلاد - لا يقومون بواجبهم في الدفاع عن الفكرة. انهم يسمعون من يقول ان العلمانية ضد الدين ولكنهم لا يحاربون هذا القول الخاطيء لأن العلمانية تحترم الدين وتحافظ على الأخلاق. كل الدول التي وصلت إلى النظام العلماني ترى أنها تطبق حرية الضمير والمعتقد لكل مواطنيها وليس صحيحاً أنها ضد الدين. اذا

ألا يقرأون الفقرة ١٨ من شريعة حقوق الانسان التي تنادي بحرية المعتقد لكل انسان وحرية كل الأديان؟ فإذا لم تعتمد الدول العربية ودول العالم الثالث هذه الشريعة فستبقى متخلفة. ومن يعلم فربما قررت الأمم المتحدة اسقاط عضوية أي بلد لا يطبق شريعة حقوق الانسان كاملة. والمهزلة أننا نرى دول دكتاتورية أعضاء في لجان حقوق الانسان في الأمم المتحدة. لا يجوز ذلك. وهناك دولاً أعضاء في مجلس الأمن ولكنها لا تطبق قرارات مجلس الأمن. وهلمجراً. أصبحت لعبة القصة.

اليس هناك تناقض بين علمانيتك وايمانك المسيحي؟

أبداً. الله خلقني انساناً حراً وأنا مسؤول عن أعمالي تجاهه. الديانة هي علاقة عامودية بين الفرد والله. وفي الاسلام نفس الأمر. لا أحد يؤخذ بجريرة أحد وكل شخص مسؤول عن نفسه تجاه الخالق. فإذا قمت باختيار معين فأنا مسؤول عنه تجاه الله. الله لم يمنح وكالة لأحد على الأرض لكي يلاحقني في اختيارياتي.

ولكن اذا نصحك كاهن مسيحي أن ما تختاره من زواج مدني أو نظام علماني مناقض للمسيحية ويكسر سراً من اسرار الكنيسة فهل تقبل منه؟

أقول له لا! الله خلقنا وأعطانا رسالة وقيم عليا نسير عليها. أما الزواج فهو عقد بين شخصين، انسان وانسانة، ولا علاقة له بالقيم الروحية الدينية بل هو علاقة زوجية مباشرة. في الاسلام أيضاً الزواج هو عقد مدني. نقول بدلاً أن تكون كتابة العقد لدى الشيخ يمكن أن تكون أمام القاضي. والزواج هو سر من أسرار الكنيسة وليس من أسرار الله.

ولكن في المسيحية لا يمكن أن تكون مسيحياً كافر بل يجب أن تكون في كنيسة.

الإشادة بكلمة الرئيس الأسد في القمة العربية في شرم الشيخ؟

أنا لا يمكن أن أعلق على أي بيان لبناني يتعاطى بإيجابية مع سورية. بالمطلق لا أؤيد بيانات من هذا النوع خاصة بسبب كثرة السلبيات التي ترتكها سورية في لبنان. سورية تحتل لبنان وإذا كنت أنا اللبناني حراً لكنك أيدت العراق بدون انتظار خطاب الرئيس السوري. هذا النوع من الذميمة السياسية نراه ليس فقط في نطاق البيان الذي نتحدث عنه بل من أي وزير لبناني أو صحافي لبناني. فمن يؤيد العراق ليؤيد بدون إذن سوري. هذه التبعية لا تجوز في وطن. أنا أتكلم في الوضع العام وأقول لكل اللبنانيين ومن ضمنهم بكركي بأنني لا أشجعهم فقط بل أطلب منهم أن لا يصيروا ذميين سياسيين.

نظام علماني وزواج مدني

منذ مقابلتنا الأخيرة معك هل تغيرت مواقفك المبدئية. مثلاً دعوتك إلى نظام علماني ديمقراطي في لبنان وإلى قانون مدني للأحوال الشخصية. خاصة بعد معارضة رجال الدين مسيحيين ومسلمين للقانون الاختياري الذي تقدم به الرئيس السابق الياس الهراوي عام ١٩٩٨؟

عون: أنا لم أغير موقف في هذا الموضوع اطلاقاً. القانون المدني هو المدخل الصحيح إلى النظام الديمقراطي العلماني. في فرنسا وكندا مسموح الزواج المدني. وهذا الزواج هو الذي تعترف به مؤسسات الدولة. أما الزواج

الكنسي أو الديني فهو اختياري ولا تطالب به الدولة. بل الانسان حر في سعيه إلى عقد كنسي أو اسلامي. ولكي لا يكون الأمر صعباً في لبنان فلماذا لا نسمح بقانون زواج مدني اختياري لمن شاء من المواطنين ولا نغصبهم على ما لا يريدونه؟ وتابعت ما حصل في لبنان من ردود فعل على قانون الهراوي. بعضهم قال أن هذا الزواج غير شرعي ومن يسير به سيعتبر أطفاله أولاد زنا. وكتبوا بإفراط في الشوارع ضد الزواج المدني، أحداها تقول: «زواج مدني يعني مني اسرائيلي في أحشاء مسلمة». هذه صورة بشعة نخجل أن نذكرها. ان القانون المقترح يقول «اختياري» بدون اجبار. ولكن رجال الدين في لبنان يسيطرون على الأحوال الشخصية ما يمنحهم نوعاً من السلطة على حياة الناس. وهذا الوضع المتشرد من طائفة إلى طائفة يؤثر جداً على تطور المجتمع المدني في لبنان وعلى تقارب الوحدة الاجتماعية. ولذلك لا أستغرب أن يقف هؤلاء الممسكون بالأحوال الشخصية ضد الزواج المدني الاختياري. في كل بلدان العالم الديمقراطي يخضع هذا الأمر إلى استفتاء شعبي وأجواء متمدنة. ولكن في لبنان يتداول الأمر قلة من الشخصيات فينتقل المفتي

المعارضة؟ أنا أقول هذا الرأي بالمطلق ولا أفصله على الكنيسة أو غير الكنيسة. بل قلت أن الجميع في لبنان في ظل النظام أصبحوا مجردي الرأي الحر وليس لهم سوى أن يقبلوا الأمر الواقع. نعلم أن وسائل الاعلام المعارضة لا يمكن لها أن تعارض ولا يقدر المعارضون أن يوصلوا رأيهم. أنا لم أقل «بكركي استسلمت للدكتاتورية السورية» بل أن كل الناس في لبنان استسلمت لهذه الدكتاتورية. أنا لست كأخرين هاجموا بكركي لأهداف سياسية ثم طلعوا إلى بكركي ويكره تتغير الظروف ويهاجمونها مجدداً. المواقف السياسية غير مستقرة في لبنان بل ظرفية تخضع للضغوط. وأنا لا

أغير مواقفي ومبادئني التي تخضع للمصلحة الوطنية. هناك خطر عالمي على المنطقة. ولسوريا موقف مؤيد للحرب فهل يؤديها كل الناس أيضاً في لبنان؟ ان ما أقصده هو أن الشعب اللبناني لا يملك

امكانية المعارضة اليوم. وما زلت على موقف بعدم التعليق على أي فئة أو شخص في لبنان ولكني أحكم على الأمر بالمطلق أنه لا مجال للمعارضة الديمقراطية في لبنان فقط للموالاتة في ظل حكم دكتاتوري. لا يمكن القول أن هناك معارضة إلا اذا كانت تمارس حقوقها داخل لبنان.

ما هو موقفكم إذن من بيان المطارنة حول

الموقف من بكركي

■ طالعنا الصحف اللبنانية خلال الأيام الأخيرة أنك لا ترغب في التعليق على بيان المطارنة الموارنة حول الإشادة بخطاب الرئيس السوري حافظ الأسد أنك طلبت من مناصريك في التيار الوطني الحر الالتزام بالصمت. واذا تفاجأنا صحيفة السفير اليوم بخبر أنك تهاجم بكركي وتعتبر بيانها رضوخاً واستسلاماً «للدكتاتورية السورية» وأنك قلت: وهل بإمكانهم أن يفعلوا غير ذلك. فهل خرجتم عن عدم التعليق؟

ان ما ورد في نص الخبر يكرر مواقف السابقة حول الهيمنة السورية في لبنان ولكني أنفي عنوان الخبر أنني أهاجم بكركي ولا أعلم ما مصدره بالنسبة لكاتب الخبر. موقف من بكركي وغير بكركي واضح: اذا كان ثمة قيمة للموالاتة في لبنان فيجب أن تكون هناك قيمة

للمعارضة. الاجماع الحالي في لبنان على السياسة العامة ليس مؤشراً صحياً في الديمقراطية. في كل الأحوال تبقى نسبة مئوية ولو ه بالمنة تبرز وتبدي رأياً معاكساً وتعارض الوضع القائم. لبنان يعيش اليوم في ظل حكم دكتاتوري حيث أصبح النظام نسخة لسورية. كيف يمكن أن يكون جميع الناس مولون دون أن يتاح لهم امكانية

* لن ترتاح اسرائيل الا اذا قامت الدولة الفلسطينية والشعب الفلسطيني لن يموت.

Salon de coiffure
1511 rue Decelles, Saint-Laurent, Qc.
514-747 9090